ألم يقل عليه الصلاة والسلام:" تَركتُكُم على المحجَّة البيضاء"؟[1].

ألم يسمع الدكتور حسن الترابي وأمثاله قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب:" قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً، فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ مَنْ حفظه ونسيه مَنْ نسيه"[2].

(٣) المعتزلة العقلانيون حكَّمُوا العقل وجعلوه الأصل والفيصل، وقدموا العقل على الشرع والنصوص من الكتاب والسنة، وكان من جراء ذلك أنكروا كثيراً من أحاديث العقائد الثابتة، كعذاب القبر ونعيمه، والحوض والصراط، والشفاعة والميزان، ورؤية الله في الآخرة، كذلك العصرانيون اليوم مثلاً بمثل سواءً بسواء يداً بيد.

(٤) كذلك المعتزلة أنكروا صحيح السنة النبوية، وأخضعوا نصوص السنة لعقولهم، وقسموا السنة إلى آحاد ومتواتر من حيث الحجية والاستدلال، كذلك عصرانية اليوم قسموا السنة إلى تشريعية وغير تشريعية.

يقول محمد رشيد رضا:" إن سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه هو وخاصة أصحابه عملاً وسيرة، فلا تتوقف على الأحاديث القولية...فالعمدة في الدين هو القرآن، وسنة الرسول المتواترة، وهي السنة العملية كصفة الصلاة، والمناسك مثلاً، وبعض الأحاديث القولية التي أخذ بها

---

(1) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٣) ، والإمام أحمد في المسند (١٧١٤٢) ، وإسناده صحيح ، انظر: حاشية المسند (٣٦٧/٢٨).

(2) أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب في قوله تعالى:"وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ" ، (٣١٩٢).

جمهور السلف، وما عدا هذا من أحاديث الآحاد التي هي غير قطعية الرواية، أو غير قطعية الدلالة فهي محل اجتهاد"[١].

ويقول الدكتور محمد سليم العوا :" أن ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كله تشريعاً لازماً للأمة في كل حين، بل منه ما هو قضاء وحكم بني على ما قام عنده من الدلائل والبينات، وهي وقائع جزئية يشير إليها الفقهاء كثيراً في مناقشاتهم بقولهم: قصة عين لا عموم لها،ومنها ما بني على المصلحة التي قامت زمنه صلى الله عليه وسلم، وهذا يجب أن يتبع المصلحة ويدور معها: فما حقق المصلحة أجزناه وما عارضها أو ألغاها توقفنا عن إجرائه...يغلب الظن على أن أغلب المروى عنه في شؤون الدنيا خارج نطاق العبادات والمقدرات والمحرمات ليس من الشرع "[٢].

يقول الشيخ الأمين الحاج:" شبهة تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية من أخبث الشبه التي رفعها أدعياء التجديد المتخلفون من العصرانيين، فعلى من أحدثها أول مرة اللعنة مصحوبة بغضب الله وسخطه، ونرجو من الله أن يكون عليه كفل من وزرها، ووزر من دعا إليها، وعمل بها، إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً.وهذه الشبهة دعوة صريحة إلى رد السنن، وترك العمل بها، والتحاكم إليها، ثم تفسير القرآن بالتفسيرات الشاذة التي توافق أهواءهم، ثم إلى تركه وراءهم ظهرياً، وهي تجعل الفارق بين العلمانيين

(1) انظر: مجلة المنار(١٠/٨٥٢) ، (٢٧/٦١٦) ، والعصرانيون بين مزاعم التجديد (ص:٦٦).

(2) انظر: العصريون معتزلة اليوم (ص:٩٧).

والعصرانيين شعرة دقيقة، يقعون بعدها على أم رؤوسهم في براثن العلمانية، إن لم يكونوا قد انحدروا في دركها بعد"[١].

يقول ابن حزم:" وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم، من سلف الأمة، بل والأمة بأسرها على قبول خبر الواحد الثقة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى حدَّث متكلمو المعتزلة بعد المائة، فخالفوا الإجماع"[٢].

ويقول الشيخ الألباني، رحمه الله:" إن القول بأن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة، قول مبتدع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله عليهم...وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان...وإذا أُخذ بهذا القول، يستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم، لمجرد كونها في العقيدة"[٣].

(٥) كذلك تطاول المعتزلة على حملة السنة من الصحابة الكرام والسلف الصالح من التابعين ومَنْ بعدهم، من نُقَّاد الحديث بالطعن، والسَّب، ورميهم بالسفه وقلة العقل، بل بالهوى والكذب، كما قال عمرو بن عبيد المعتزلي: " والله لو أنَّ علياً وعثمان وطلحة والزُّبير شهدوا عندي على شِراك

(1) انظر: مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي (ص:٧٩).

(2) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (١/١١٠).

(3) انظر: حديث الآحاد حجة بنفسه (ص:٦).

نعل ما أجزته"[١] وقال في سَمُرة بن جندب ﷺ: "ما تصنع بسَمُرة قبَّح الله سَمُرة" [٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" والمعتزلة أيضاً تفسق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم، بل تكفِّر أيضاً من يخالف أصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف، فلهم من الطعن في علماء السلف وفي علمهم ما ليس لأهل السنة والجماعة"[٣].

ويقول الدكتور مصطفى السباعي:" المعتزلة ما بين شاك بعدالة الصحابة منذ عهد الفتنة، كواصل بن عطاء، وما بين موقن بفسقهم، كعمرو بن عُبيد، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق، كالنَّظام، وذلك يوجب ردهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة، وأن النَّظام كان ينكر حجية الإجماع، والقياس وقطعية التواتر"[٤].

وكذلك العصرانيون تطاولوا على السلف من الصحابة وغيرهم، ورموهم بكل سوء [٥].

---

(1) انظر: تأريخ بغداد (١٢/١٧٥) وميزان الإعتدال (٢/٢٧٥).

(2) انظر: تأريخ بغداد (١٢/١٧٣) وميزان الاعتدال (٢/٢٧٤).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (٤/١٥٤ ، ١٥٥).

(4) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص:١٤٠).

(5) انظر: ما قاله محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية ص (٣٣٩) وما نقله الأمين الحاج عن حسن الترابي في مناقشته الهادئة ص (٥٣).

يقول محمود أبو رية: "إن القول بعدالة جميع الصحابة، وتقديس كتب الحديث يرجع إليها في كل ما أصاب الإسلام من طعنات أعدائه، وضيق صدور ذوي الفكر من أوليائه!" (١).

ويقول أيضاً في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه:"على حين أنه كان من عامة الصحابة، وكان بينهم لا في العير ولا في النَّفير، ذلك هو أبوهريرة "(٢).

ويقول الدكتور الترابي:" حاطب بن بلتعة ارتكب خيانة عظمى، وعائشة كانت تقول كذبوا على رسول الله...إذا رأينا نأخذ كل الصحابة أو لا نأخذ، قد نجئ بعمل تنقيح جديد، نقول الصحابي إذا روى حديثاً عنده فيه مصلحة نتحفَّظ فيه، نعمل روايته درجة ضعيفة جداً، وإذا روى حديثاً ما عنده فيه مصلحة نأخذ حديثه بقوة أكثر، ويمكن تصنيف الصحابة مستويات معينة في صدق الرواية "(٣).

والواقع إنّ الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، من العصرانيين الجدد تلاميذ المستشرقين، لم يكن جديداً، بل هم شر خلف لشر سلف، يقول المستشرق الهولندي جوينبل:" إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور

---

(1) انظر: أضواء على السنة المحمدية ص (٣٣٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:١٩٥).

(3) انظر: مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي (ص:٥٢ ، ٥٣).

المسلمة عند الجميع في أول الأمر، ولهذا نجد أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس"[١].

ويقول المستشرق زيهر:" ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى"[٢].

وما أحسن قول الأستاذ محمد أسد: "إن أمثال هؤلاء الناس من الذين ينكرون السنة ويحاربون المسلمين، إنما هم أنصار للمستشرقين والاستشراق بصورة غير مباشرة، لأنهم بشهرة التسلط، وبحكم تجاهلهم لحقيقة الإسلام يخدمون نفس الغرض الذي يسعى إليه المستشرقون والمستعمرون على السواء، فمن ينكر بعض أركان الإسلام وتعاليمه ومن يعمل على الطعن في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، إنما يعمل ذلك خوفاً على ذهاب سلطانه، وإن من ينكر السنة إنما مصدره الشعور بالنقص والخذلان مما يدعوه إلى التعالي على دين الله سبحانه وتعالى، وعلى شريعته لتظهر نفسه الدنيئة فوق الحق، ولكن الحق يظهر أبلج وإن طال الأمد...ذلك لأنّ التأثر بأسلوب الحياة ومناهج التفكير في الغرب يأخذ مكانه في نفس كل شخص يجهل حقيقة دين الإسلام، وحقيقة الحضارة الإسلامية، وكل منهم يتأثر بنوع الحياة التي عاشها في الغرب"[٣].

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٣٣٥/٧).

(٢) انظر: العقيدة والشريعة (ص:٤٩) ، موقف المدرسة العقلية من السنة (٥٥/٢).

(٣) انظر: الإسلام على مفترق الطريق (ص:٧٤).

ثم تأمل -رعاك الله- ما سبق من هؤلاء المعتزلة، والعصرانيين معتزلة اليوم، وقارنه مع ما قاله الإمام ابن خزيمة في الصحابي الجليل أبي هريرة، راوية الإسلام، قال:"وإنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره مَنْ قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار، إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يروها خلاف مذهبهم الذي هو كفر فيشتمون أبا هريرة و يرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه تموي على الرعاء والسفل أن أخباره لا تثبت بها الحجة، و إما خارجي يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم و لا يرى طاعة خليفة و لا إمام إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة و برهان كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة، أو قدري اعتزل الإسلام و أهله وكفَّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه و سلم في إثبات القدر لم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر و شرك كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها، أو جاهل يتعاطى الفقه و يطلبه من غير مظانه إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه و أخباره تقليداً بلا حجة و لا برهان كلم في أبي هريرة و دفع أخباره التي تخالف مذهبه و يحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه، وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها[1].

---

(1) انظر: المستدرك للحاكم (٣/٥٨٧).

ويقول العلامة ابن كثير:" وقد كان أبوهريرة رضي الله عنه من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة، والعمل الصالح على جانب عظيم"[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وأبو هريرة أحفظ منه- يعني ابن عباس- بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درساً، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه"[٢].

وقال الخطيب البغدادي، بعد أن ذكر فضل الصحابة رضي الله عنهم، ومنزلتهم ومكانتهم وعدالتهم، قال:" والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له، فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلى قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك، ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيئ مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لتراهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين"[٣].

---

(1) انظر: البداية والنهاية (٣٧٨/١١).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (٩٤/٤).

(٣) انظر: الكفاية في علم الرواية (ص:٤٩).

ويقول أبوزُرعة الرازي:" إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنّه زنديق، وذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنما أدى إلينا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"[١].

(٦) وإذا كان المعتزلة العقلانيون قد استخفوا بعلم السلف المبني على الكتاب والسنة، واستبدلوه بالفلسفة والمنطق، وأشادوا بالمنطق اليوناني، كذلك العصرانيون اليوم، يقول الدكتور حسن الترابي: " القديم الديني، علم تقليدي جامد يقوم على عاطفة ساذجة" [٢]، ويقول أيضاً مستخفاً بعلم أصول الفقه عند السلف: " لا بد أن نقف وقفة مع علم الأصول تصله بواقع الحياة، لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تؤخذ تجريداً، حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تكاد تلد فقهاً البتة، بل تُوَلِّدُ جدلاً لا يتناهى" [٣].

بل إنّ العصرانيين معتزلة اليوم قد زادوا على معتزلة الأمس أشياء كثيرة مثل الدعوة إلى الحرية والديمقراطية الغربية والخلط بينها وبين الشورى، والدعوة إلى الاشتراكية والقومية والحزبية، والدعوة إلى التقارب بين السنة والرافضة، بل بين الأديان كلها[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص:٤٩).

(2) انظر: مناقشة هادئة ص (٤٨).

(3) انظر: تجديد أصول الفقه ص (٧).

(4) انظر: مؤلفات د. محمد عمارة ، ود. حسن حنفي ، ود. حسن الترابي ، وفهمي هويدي وآخرين على شاكلتهم.

(٧) إذا كان المعتزلة العقلانيون قد أشادوا برؤوس الفلسفة اليونانية، من أمثال سقراط وأرسطو، وأفلاطون وأرسطاطاليس، وأضرابهم، وقدموا نظرياتهم ومناهجهم المنحرفة، نموذجاً يحتذى بها، كذا العصرانيون الجدد اليوم، سواءً بسواء، قد أشادوا برؤوس الكفر والملاحدة، من ملاحدة الصوفية، والقرامطة، وضلاّل المعتزلة، يقول الدكتور محمد عمارة :"ابن عربي في التصوف الفلسفي قمة القمم، لا في حضارتنا العربية الإسلامية فقط، بل وعلى النطاق الإنساني..."، كما يمجد غيلان الدمشقي الذي ناظره الإمام الأوزاعي، وأفتى بقتله، هو والعلماء في زمنه [(١)]، وقال فيه الإمام عبد الله بن المبارك: "كان من أصحاب الحارث الكذّاب، وممن آمن بنبوته، فلما قُتِل الحارث، قام غيلانُ إلى مقامه..."[(٢)]. وقال ابنُ حبَّان: "كان داعية إلى القَدَر، قُتِلَ وصُلِبَ بالشَّام، لاتحِل الرِّواية عنه، ولا الاحتجاج به"[(٣)]، وقال السّاجي: "كان قدرياً داعية، دعا عليه عمر بن عبد العزيز، فقُتِل فصُلب، وكان غير ثقة ولا مأمون..."[(٤)]وقال الذَّهبيُّ: "ضالٌ مسكين"[(٥)].

كما يمجّد الدكتور محمد عمارة عمر بن عُبيد المعتزلي، الذي يقول فيه الإمام عبد الله بن المبارك: "كان عمرو بن عُبيد يدعو إلى القدر فتركوه"، وقال النسائي:" متروك الحديث، ليس بثقة"، وقال الإمام أحمد:"ليس بأهل أن

---

(1) انظر: الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية (ص:١٨١).

(٢) انظر: لسان الميزان (٦/٣١٤).

(٣) انظر: المجروحين له (٢/٢٠٠) ، وضعفاء ابن الجوزي (٢/٢٤٧).

(٤) انظر: لسان الميزان (٦/٣١٤).

(٥) انظر: الميزان (٣/٣٣٨) ، والمغني(٢/١٨٣) ، ولسان الميزان (٦/٣١٤).

يُحدَّث عنه "[١]، فيمدح المدعو حسين أحمد أمين، الحجاج بن يوسف الظالم، ويصفه" إنه أعظم الإداريين"[٢]. في الوقت الذي يذم فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز، رحمه الله المتفق على إمامته وجلالته، فيقول:" ولم تجلب سياسته المالية والادارية غير خراب الدولة"[٣].

قارن هذا مع كلام الأئمة في أهل الكلام والجدل، يقول الحافظ ابن عبد البر:" أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار، أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم"[٤].

(٨) إذا كان المعتزلة العقلانيون الأوائل، كفّروا حكام المسلمين، واعتبروهم حكاماً فجرة، وخرجوا عليهم بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي جعلوه من أصولهم، وقصدوا بذلك الخروج على الأئمة، فكذلك العصرانيون اليوم، يقول راشد الغنوشي:" أما كون الأمة بعد مبايعة الإمام لا تستطيع عزله إلا بكفر أو فسق أو عجز، فليس من قطعيات الدين، وإن التقى حوله معظم فقهاء السياسة الشرعية، ولكنه يبقى مفتوحة لأكثر من اجتهاد"[٥].

---

(١) انظر: تهذيب الكمال(١٢٤/٢٢) ، والميزان(٢٧٤/٣).

(٢) انظر: دليل المسلم الحزين (ص:٢٦٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص:٢٠٣).

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٩٥/٢).

(٥) انظر: الحريات العامة (ص:١٧٠).

ويقول الدكتور محمد عمارة:" ولقد أسهم في إشاعة هذا المفهوم- يعني قول أهل السنة على عدم الخروج على الإمام الظالم- وترسيخه فكر" فقهاء السلاطين"[١] أولئك الذين منحوا المشروعية لنظم" التغلب والاستبداد" ودعوا إلى طاعة ولاة الجور والفسق والفساد إذا هم اغتصبوا السلطة بالقوة، بدعوى أن الثورة هي فتنة، تعطّل المصالح، وتجلب من الأضرار ما هو محقق، وما يفوق المحتمل من الإيجابيات، مستندين في ذلك إلى ظواهر نصوص، عرضنا لها، فأثبتنا ضعف حجتهم في الاستناد إليها والاستشهاد بها على الدعوى التي يدعونها"[٢].

قارن هذا هداك الله مع قول الإمام الطحاوي:" ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا نترع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ورسوله فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والعافية"[٣]، ومع قول الإمام النووي:"قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، لا يعزل الإمام بالفسق والظلم، وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث

(١) هكذا سمى علماء السنة بفقهاء السلاطين ، وهذا سوء أدب منه.

(٢) انظر: الإسلام وحقوق الإنسان (ص:١٠٠) ، وانظر أيضاً: الإسلام والمستقبل له (ص:٢٨).

(٣) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها (ص:٤٢٨).

الواردة في ذلك"[١]، وفي الحديث:"مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[٢].

(٨) وإذا كان أيضاً المعتزلة الأولون أنكروا حقائق الغيب الثابتة بالقرآن والسنة، من الملائكة الأبرار، والجنِّ والشياطين، وعذاب القبر ونعيمه، وغير ذلك، بتأويلات باطلة بعيدة، فكذلك العصرانيون اليوم، يقول محمد الغزالي:" وفي عالم يحترم التجربة ويتبع البرهان نصور الدين غيبيات مستوردة من عالم الجن، وتهاويل مبتوتة الصلة بعالم الشهادة "[٣].

ويقول الدكتور كامل عياد:" إنّ طريقة البحث العلمي جعلتنا لا نتقيد إلا بالواقع الذي تدركه الحواس، وأن نتحرر من العقائد الغيبية "[٤].

ويقول الدكتور أحمد زكي أبوشادي:" والدين الإسلامي يتميز بأنه يدعو إلى المعرفة بالبحث والتحقيق التجريبي، ولا يطالب الإيمان بدون اقناع ولا يفترض الاقتناع بغير برهان، فهو يختلف عن الأديان الأخرى، وإن تفرع عن بعضها، أو على الأصح استوعبه، يختلف من حيث إنه لا يتعرف الحقيقة بالغيبيات أو من وجهة مختلفة لوجهة العلم أوعلى مدركات مخالفة لتلك التي تؤلف مادة العلم الطبيعي"[٥].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٤٣٣/١٢).

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين...(٤٧٩٠).

(٣) انظر: هموم داعية ص(٥).

(٤) انظر: الإتجاهات العقلانية الحديثة (ص:١٢٥).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص:١٢٦).

بل أنكر كثير من العصرانيين اليوم، ما هو ثابت بالأدلة المتواترة، كأحاديث نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان، ومجيئ الدجال، وخروج الدابة، ويأجوج ومأجوج، وغير ذلك، يقول الشيخ محمود شلتوت:" إن نزول عيسى عليه السلام ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب الإيمان بها، لأن الأحاديث الواردة في ذلك أحاديث آحاد"(١).

ويقول محمد عبده: "وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى، من أنّ الشيطان لم يلمسها(٢).، وحديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم، وإزالة حظ الشيطان من قلبه(٣). فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالى:"وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا "، (النجم:٢٨)، كنا غير مكلفين بالإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا"(٤).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: "ليس في القرآن نص صريح في أنّ عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حياً حياة دنيوية بهما، بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء...وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما

---

(١) انظر: فتاواه (ص:٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في التفسيرنباب قوله تعالى:"وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" ، (٤٥٤٨) ، ومسلم في الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٦١٣٣).

(3) أخرجه مسلم في صفات المنافقين ، باب تحريش الشيطان...(٧١٠٨).

(4) انظر: تفسير المنار (٣٩٢/٣).

هذه عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام إلى الآن بثها في المسلمين، وممن حاولوا ذلك بإدخالها في التفسير وهب بن منبه، الركن الثاني بعد كعب الأحبار لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات...والأحاديث الواردة في نزوله عليه السلام كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرها، وأكثرها واردة في أشراط الساعة، وممزوجة بأحاديث الدجال، وفي تلك الأشراط ولا سيما أحاديث الدجال والمهدي اضطراب واختلاف وتعارض كثير...والخلاصة إنه لا يجب على مسلم أن يقف على تلك الأحاديث وأمثالها لأنها ليست من أركان الإيمان، ولا من أركان الإسلام...ولا يضره في إيمانه وإسلامه الاشتباه في صحتها وعدم القطع بروايتها ودلالتها على ما قال الجمهور"[١].

قارن هذا مع قول الإمام الطحاوي، رحمه الله:" ونؤمن بأشراط الساعة، من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها"[٢]، ومع قول الإمام القرطبي:" أنكر معظم المعتزلة الشياطين والجن، ودلّ إنكارهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم، وليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الله أن يثبت ما قضى العقل بجوازه، ونص الشرع على ثبوته"[٣].

---

(١) انظر: مجلة المنار (٢٨/٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧).

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها (ص:٥٦٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/٥٠).

وبقول القاضي عياض:" إن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع، وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر، والقيامة والنار، ليس شيئ منها على مقتضى التصريح لقصور أفهامهم، فمضمون مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به"(١).

وبقول الإمام الشاطبي:" أساؤوا الظن بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحسَّنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة، حتى ردوا كثيراً من أمور الآخرة وأحوالها، من الصراط والميزان، وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسميين، وأنكروا رؤية الباري وأشباه ذلك، بل صيَّروا العقل شارعاً، جاء الشرع أو لا، بل إن جاءهم فهو كاشف لمقتضى ما حكم به العقل، إلى غير ذلك من الشناعات"(٢).

وما أحسن قول العلامة أحمد شاكر:" وقد لعب المجددون أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى، ذلك أنهم في حقيقة أمرهم لا يؤمنون بالغيب أو لا يكادون يؤمنون، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل"(٣).

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١٠٦٨).

(٢) انظر: الإعتصام للشاطبي (٣/١٣٤).

(٣) انظر: تعليقه على مسند الإمام أحمد (١٢/٢٥٧).

هذه بعض وجوه التشابه بين العصرانيين معتزلة اليوم،وبين المعتزلة الأوائل،وهي كثيرة جداً،ولكن المقام هنا مقام إشارة،وفي الإشارة ما يغني عن العبارة.

مفهوم التجديد عند العصرانيين:

إذا كان مفهوم التجديد عند السلف الصالح هو: العودة بالدين إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واحياء لما اندرس من معالمه على وفق منهج السلف الصالح كما سبق.

فإن مفهوم التجديد عند العصرانيين اليوم هو: هدم لما كان عليه السلف، والقطيعة بين السلف والخلف، وتطويع الدين لافرازات الحضارة الغربية المعاصرة، وتغيير الصورة التي ألفها المسلمون خلفاً عن سلف.

يقول الدكتور محمد البهي واصفاً لهم: "تلك المحاولات الفكرية التي يدعي القائمون بها اصلاحاً أو تجديداً في الإسلام، وهي في واقع أمرها اخضاع الإسلام للون معين من التفكير، أجنبي عنه، سواءً في هدفه أو فيما يصدر عنه"[1].

وقد نبه السلطان عبد الحمدي العثماني إلى خطورة التجديد الذي تزعمه جمال الدين الأفغاني، فيقول:" والتجديد الذي يطالبون به تحت اسم الإصلاح سيكون سبباً في اضمحلالنا، ترى لماذا يوصي أعداؤنا الذين عاهدوا الشيطان بهذه الوصية بالذات؟ لا شك أنهم يعلمون علم اليقين أن الإصلاح هو الداء،

(1) انظر: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ص (٣٢٩).